تجليات الرمز في شعر عمر أزراج

أ. **مداني علاء**
جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي (الحزائر)
أ.د .**عبد الحميد هيمه**
جامعة قاصدي مرباح بورقلة (الجزائر)

ملخص :

لم يتوانى الشاعر الجزائري عمر أزراج عن تصوير أقطاب الدولة، والحزب الحاكم. معتمدا على تقنية الرمز، باعتباره طاقة تعبيرية تعبر عن الأشكال الفنية التي فرضت عليه، ولازمته ردحا من الزمن، في ظل التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي شهدها الواقع الجزائري في سبعينات وثمانيات وتسعينات القرن العشرين. من خلال نعتهم بأبشع الصور، وأقذع التجريحات بسبب قهر الضعفاء وتهميش إطارات الدولة، والانفراد بالحكم، فظهر شعر أزراج يعج بصور الرمز الأسطوري، والديني والتراثي... وغيره من الرموز التي انبعثت من تجربة الشاعر وإحساسه الملازم له بالاغتراب داخل الوطن وخارجه.

Resume :

Algerian poet Omar Azrag did not hesitate to portray the state and the ruling party. Based on the technique of symbolism, as an expressive energy expressing the artistic forms imposed upon it, and its need for time, in light of the cultural, social and political transformations witnessed by Algerian reality in the seventies, eighties and nineties of the twentieth century. By depicting them as the most horrible images, and the most blatant attacks because of the oppression of the weak and the marginalization of the state, and singled out the rule, the hair of the towers appeared full of images of legendary icon, religious and heritage ... And other symbols that emanated from the experience of the poet and his sense of alienation inside and outside the homeland.

لجأ الشاعر الجزائري المعاصر إلى استخدام الرموز كوسيلة فنية للتعبير غير المباشر عما يختلج في صدره، كتقنعه بشخصية من الشخصيات، من حيث تشبثه بها والانطلاق منها نحو ذاته، معبرا عن مكنونات نفسه، مبيحا لذاته طريقة التقنع بالشخصيات الدينية أو التراثية... معتمدا على أساليب التصوير الإيحائية مرة، ومعتمدا على التصريح المباشر في كثير من قصائده عدة مرات . وعليه فإن دراستنا لمواطن الرمز في شعر أزراج انطلقت من اشكاليات أوصلتنا إلى نتائج وأهداف نذكر منها:

ماذا أضافت صور الترميز الشعرية التي ظهرت في شعر أزراج للقارئ ؟ وما مدى حضور الرموز وتجلياتها جماليا وفنيا؟

للوصول إلى مواطن الفن والجمال الترميزي في شعر أزراج وجب علينا أولا معرفة الرمز وماهيته، ثم بعد ذلك ننطلق في دراسة الرموز الفنية وأنواعها. ومدى حظور الجمال التصويري فيها ؟

أولا: الرمز لغة واصطلاحا:

أ- **لغة:** ورد في معاجم اللغة العربية اشتقاقات ومفاهيم عديدة للفظة الرمز، فمثلا في معجم أساس البلاغة للزمخشري يقول: رمز يرمز رمزا، والرمز من المحاذاة،رمز إليه وكلمه رمزا بشفتيه وحاجبيه[1].ويقول ابن منظور: الرمز

[1]- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري- أساس البلاغه، طبعة جديدة مصححه ومنقحة، ط1. 1422ه.2001م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ص: 297.

تصويت خفي باللسان كالهمس، يكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ، من غير ابانة بالصوت وإنما إشارة بالشفتين، وقيل الرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان باللفظ، أي شيئ أشرت إليه باليد أو العين[2].

ولقد تعرض الرمز لعملية المد والجزر في تحديد وضبط معناه، وذلك لاختلاف وجهات النظر بين اللغويين، بيد أنه أتفق عليه أنه ذو قيمة أشارية، وقد عرف عند القدامى بأنه نوع من أنواع الإشارات وأن رجعنا لأصل الكلمة فهي ذو مرجعية يونانية "symbole" "symbdien" والتي تتكون من "simy بمعنى " مع" و"bolien" بمعنى "حزر"[3].

والرمز وسيط تجريدي للإشارة إلى عالم الأشياء.[4]

وهدا أرسطو يعرف الرمز قائلا:"...الكلمات المنطوقة رمز الحالات النفسية، والكلمات المكتوبة رمز الكلمات المنطوقة..."[5].

ب- **اصطلاحا:** تعددت تعريفات الرمز واختلفت حسب الباحثين، وإن كانت كلها تدور في معنى واحد، فالرمز كما جاء في معجم المصطلحات الأدبية: هو " شيء يعتبر ممثلا لشيء آخر، وبعبارة أكثر تخصيصا، فإن الرمز كلمة أو عبارة أو تعبير آخر يمتلك مركبا من المعاني المترابطة، وبهذا المعنى ينظر إلى الرمز باعتباره يمتلك قيما تختلف عن قيم أي شيء يرمز إليه كائن ما كان، وبذلك يكون العلم وهو قطعة من القماش يرمز إلى الأمة، والصليب إلى المسيحية، والصليب المحقون يرمز إلى النازية... كما استخدم الكثير من الشعراء الوردة البيضاء رمز للصبا والجمال، واستخدم إليوت الرجال الجوف رمزا للتدهور" [6]

ثانيا: أنوع الرمز

1- الرمز الأسطوري: يعد الاهتمام بالرمز الأسطوري أحد المعالم الأدبية الهامة في شعر الحداثة، وقد كان ذلك نتيجة الوعي العميق بطبيعة الأسطورة، حيث يلجأ الشعراء إليها للتعبير عن قيم إنسانية محدودة، أو لأسباب سياسية، كان يتخذ الشاعر الأسطورة أو الشخصية الأسطورية: " قناعا يعبر من خلاله عما يريد من أفكار ومعتقدات تجنبا للملاحقة السياسية أو الدينية، فشخصيات الأسطورة ستارا يختفي خلفه الكاتب ليقول كل ما يريده وهو في أمان من السجن أو المنفى[7]."

ويعود التوظيف الأسطوري في الخطاب الشعري المعاصر إلى التأثر بالشعراء الأوربيين وعلى رأسهم "إليوت" صاحب مصطلح المنهج الأسطوري " the megthicalmethod" وقد تأثر به كثيرا من الشعراء العرب المعاصرين.أمثال: "السياب، البياتي، صلاح عبد الصبور، أدونيس..."[8]

وقد عرّف "مالا رميه" الأسطورة قائلا:"... أن الأساطير تمثل الشعور الجمعي فالرجوع إليها بمثابة الرجوع إلى الأصل ..."[9] فالأسطورة إذا مجرد إنتاج بدائي يرتبط بمراحل ماقبل التاريخ القديمة في حياة الإنسان في كل عصر.[10]

2 الرمز التراثي: من أدبنا المعاصر احتوائه على رموز تراثية مستلهمة من التاريخ الواقع و العديد من القضايا التي يعيشها الشاعر أو الأديب، فيمتزج الحاضر بالماضي ليكون التواصل والتداخل، حيث يسكب الماضي بكل إشاراته، وبكل ماله من طزاجة اللحظة الحاضرة[11].

---

[2]- ابن منظور جمال الدين- لسان العرب ، مادةغرب،ج1،الدار المصرية للتأليف،دت ، دط ، ص: 356 .

[3]- ينظر محمد فتوح أحمد- الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة . ط 1، 1984 م، ص: 35.

[4]- سعيد علوش- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص101-102

[5] - ينظر محمد فتوح أحمد -مرجع سابقص: 35.

[6]- ابراهيم فتحي- معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، 1986، ص171.

[7]- رمضان الصباغ - .في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط1، 1998م،ص: 244.

[8]- رمضان الصباغ- المرجع نفسه، ص: 249.

[9]- أحمد كمال زكي- الأساطير دراسة صفارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ط2، 1979م، ص: 237.

[10]- ينظر عبد الحميد هيمه -البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص: 82.

[11] -ينظر رجاء عيد-لغة الشعر، مرجع سابق، ص: 201.

وهذه الازدواجية يكون لها بعد فني في القصيدة، فالشاعر يختار من هذه الشخصيات ما يوافق الأفكار والقضايا، والهموم التي ينقلها إلى الملتقي.[12]

وهناك نوعين من الرموز التراثية أولها رموز المعاناة مثل: الخيام، المعري، سيزيف... وثانيها رموز الثورة مثل: القرامط _الزنوج...

3_ الرمز الخاص: وهذا النوع من الرمز يشكل فضاء واسعا للشاعر العربي المعاصر، حيث يجد فيه حرية أكثر و فرصة أكبر لاختيار رمزه الذاتي، الذي يتمثل في تجربته بشكل أشدّ خصوصية وأصالة، ويتقارب المعجم الرمزي للشعر الحديث والمعاصر، ليؤلف حقلا دلاليا كليا نعثر فيه على القمح والخصوبة، والحجر للجماد، والنار للثورة، والرماد للنهاية، والشجر للحياة، والريح للغضب، والليل للغربة...[13].

وهذا يعني أن الرمز الخاص يستلهم ذاته من الطبيعة التي يبينها الشاعر لنفسه من نسيج رؤاه، وعالمه المثالي، ويكون استعماله واستخدامه بشكل ظاهري ذو أبعاد يكون فيها التشابه بين الدلالات والرموز الخاصة تعبيرا عن المشاعر والأحاسيس التي يرغب الشاعر في الإفصاح عنها، ليكون بذلك تعبيرا صادقا عن الحياة ومستوياتها وتطوراتها السياسية والاجتماعية التي يواكبها الشاعر أو الأديب[14].

3-الرمز الصوفي: عرف عند شعراء الزهد والتصوف الإلهي في بادئ الأمر، ومناجاة الله الليل مع النهار بأساليب غامضة، ثم تطور وأصبح الرمز الصوفي يستعمل في الإغراق مع الذاتية والغموض،ووصف المرأة حسيا، والتعبير عن الهيام وحبهم الذائب، ورمز الطبيعة والخمر، ورمز العدد والحروف[15].

4- الرمز الديني: لا يكاد يختلف اثنان حول أهمية الدين للإنسان فقد خُلق للعبادة مِصْداقا لقول الله تعالى ﴿وَ مَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالأنسَ إلا لِيَعْبُدُونْ﴾.(الذاريات، الآية 55) والدين دستور يشرع الحلال والحرام، وينظم سير المجتمعات، وحدود حريات الأفراد، وهذا الكلام عام والخاص فيه هو النظر إلى الدين، ونظرة الشعراء المعاصرين إليه بالذات ((فقد كان التراث الديني في كل العصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه نماذج وموضوعات، وصورا أدبية))[16] .

ومن ثم فإن الشعراء تباينت نظرتهم إلى الدين الإسلامي و المسيحي، فمنهم من لجأ إلى القرآن و قصصه وملامح الأنبياء فيه، يستلهم منها رموزا خالدة يسقطها على الحاضر، أو يتقمصها و لا يجد في ذلك بئسا أو حرجا. فالقرآن الكريم خالد وصالح لكل الأزمنة والأمكنة فكان محمد، وأيوب، وعيسى، وموسى، وغار حراء، وقصة يوسف، وأهل الكهف، وذو القرنين، وعجل السامري، وحادثة الإفك، وغيرها... متكأ وملجأ لبعض الشعراء في إبداعاتهم وتشكيلاتهم التهويمية الرمزية.

ويحفل الخطاب الشعري لأزراج عمر بصور شعرية رامزة تجسد واقعه المأساوي، و تعبر عن وجع الشاعر داخل الوطن وخارجه، ويمكننا تقسيم الرموز المستخرجة من دواوينه إلى أسطوري، تراثي، صوفي، خاص، ديني . وتعتبر تجربته الشعرية منطلقاً امتزجت فيه خواطر المشارقة الذين عاصرهم، وربما لكون الشاعر أنه آثر السجن أو المنفى وصرح بهما في العديد من قصائده. نحاول أن نعطي بعض الأمثلة من الرموز الشعرية من قصائده التي نبدأها بقصيدة ذكر فيها طائر(العنقاء) والعنقاء أسطورة لطالما استهوت العديد من الشعراء[17] .

12- علي عشري زايد- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية، دط، د ت، ص: 120.

13- ينظر ابرهيم روماني-الغموض في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 280.

14- السعيد بوسقطة- الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، عنابة، الجزائر، ط2، 2008م، ص: 37.

15- ينظر: توفيق بن عامر - المرجع نفسه، ص: 100.

16 -على عشري زايد- استدعاء الشخصيات التراثية، مرجع سابق، ص: 75.

2- ينظر إبراهيم رماني- الغموض في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 191.

ثالثا: تجليات الرموز ومواطنها في الأعمال الشعرية لعمرأزراج :

أ- **الرمز الأسطوري:** في القصيدة أغنيات أخرى "ديوان " الجميلة تقتل الوحش" يقول في بعض أسطرها:

- كان معلقا على الصليب كاليمامة القتيلة
- والدمع في عينيه يغزل الصلاة
- وفي شفاهه رأيت العنقاء
- وفي جرحه السنابل الزرقاء[18]

والعنقاء طائر أسطوري ذو مخالب قاتلة يمتطيها أبطال الأسطورة ليغيروا بها على خصومهم وقد وظف الشاعر هذا الرمز الأسطوري لفشله في اجتياز واقعه البائس يريد تحقيق معجزة يبين من خلالها عالمه الخيالي، ويعبر فيها عما يجول في داخله من رفض وتمرد دون خوف أو تردد، فالشاعر هنا يستلهم أسطورة العنقاء ويتنفس في أجوائها ليوقظ فينا الإحساس برحلته الشاقة بحثا عن مرفأ للأمان، وتحقيق رغبات الذات وكيانها، وفي هذا الرمز دلالات البحث عما وراء الطبيعة والهروب من واقع مرير لا مكان فيه للضعفاء مثله، إذ يقول في أسطر شعرية سبقت هذه الأسطر مباشرة:

- أيها النسر الذي يعانق البروق
- ويمتطي الشروق
- أحلم يا نسر ببلدتي تضاء في السماء
- الموت أعدل القضاة....[19]

ابتدأ الشاعر البحث عن المطية من ندائه للنسر وصولا إلى ذكره الهجرة و وصولا إلى حلمه وحديثه مع النسر الذي حلم معه بالهجرة لبلدة مضيئة في السماء إلى أن يصل إلى رفضه الحقيقي وتمرده عن الواقع حين بكى عن عمر المختار وطريقة قتله وصلبه حتى تحدث فيما بعد عن رفضه للواقع الذي علق في زمانه عمر المختار على الصليب كاليمامة حتى وصل إلى رؤية العنقاء، و السنابل الزرقاء، وفوقها الطيور يغنون لإستشهاد عمر المختار.

وللرمز الأسطوري حضور آخر في شعر أزراج عمر، إضافة إلى رمز العنقاء فلقد رمز الشاعر في أول قصائده " قصيدة أعراس" رمز الجوزاء، و الجوزاء أسطورة معروفة وقعت حوادثها على سبرطا بإسبانيا أو أرض العرب و مفخرتهم و إزدهارهم في شتى الميادين " الأندلس" وكان ذلك زمن الأساطير الإغريقية.

كان لكبير الآلهة "جوبتير" توأمان من زوجته ملك أسبرطا " ليدا" اسمهما " كاستور"، و" بولاكش" وكان يحبان البحث و الإطلاع دون كلل أو ملل، وقد ذهبا في إحدى المرات للبحث عن ثروة الحمل الذهبية، ومكثا هناك فترة طويلة من أجل ذلك، وخلال تلك الفترة بذلا جهودا مستمرة، ولكن اليأس والخوف لم يعرف طريقا إليهما بل ضلا متماسكين ومترابطين في الأفراح والأحزان و متعاونين في جميع، الأمور إلى أن ماتا. وتخليدا لذكرهما فقد رفعهما أبوهما جوبيتر إلى السماء، وفي هذا يقول الشاعر:

- يجمع العشاق رقص الهواء...
- كم قريبون نحن هنا من الأولياء ...
- كم عاليون نحن هنا مثل الجوزاء...
- كم تشبهنا جبال الماء...

---

[18]- أزراج عمر - الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 155.

[19]- أزراج عمر - المصدر نفسه، ص: 154

- حين تلبس الخلخال...[20]

فالواضح هنا أن الشاعر... يمني النفس بالبقاء عاليا، يمني النفس بالعلا مثل توأم جوبيتر و هنا الشاعر يحس بالاغتراب الذي خيم وسيطر على قلبه وملكه أشد التملك حتى رمز لنفسه بعلو الجوزاء.

ب- **الرمز التراثي:** وللشاعر حضور ترميزي تراثي داخل البنى الفنية لقصائد الديوان نحاول، إعطاء بعض الأمثلة على ذلك ديوان الأمثلة على ذلك في ديوان "الطريق إلى أثمليكش" قصيدة "أعراس"

- إلى المعتقات يحج الشعراء
- يغرسون الأشجار كي تمشي معهم في البحر
- أصواتهم حول الشرفات تدور حتى مطلع البدر[21]
- وفي المدينة السكرى بالتاريخ جلست على الأرض
- رأيت السماوات قفطانا على أجساد النساء[22]

القفطان هو نوع من الألبسة التي يتزين بهن النسوة، ليست نسوة الجزائر فقط، بل حتى نساء العرب قاطبة، هنا الشاعر وفق في توظيفه لهذه الكلمة وترميزه بالقفطان فلقد مثل جمال السماء وحسن بديعها وصنيعها، بالقفطان الذي يوضع على جسد المرأة كي تتزين به، لتظهر في أبهى حلة، بعد ذلك يذكر الشاعر الخلخال وهو رمز تراثي لطالما تغني به العديد من الشعراء. الشعر الشعبي أو الملحون، ولطالما تغني به العديد من الشعراء العرب في الشعر الفصيح، فالخلخال هو رمز تراثي تحضر فيه ملامح الأصالة والمعاصرة فالشاعر أسقط الرموز التراثية المبدعة والمناظر الخلابة، وجمال المرأة في ترميزه بالخلخال فيقول:

_ كم قريبون نحن هنا من الأولياء
_ كم عاليون نحن هنا مثل الجوزاء
_ كم تشبهنا جبال الماء
_ حين تلبس الخلخال.[23]

لدى الشاعر علاقة وطيدة بالخلخال، فقد استعمل هذا الرمز التراثي في كثير من مواضع، القصائد ولو فكرنا وخمّنا لذكرناها جميعا غير أننا لسنا بصدد الإحصاء لهذه الترميزة يكفينا أنها استعملت في قصائد نذكر بعضها، قصيدة "العزلة" من نفس الديوان:

_ ويبعث فينا نبع الخلاخيل كي يرقص الشجرات وحزن الحمام؟
_ أنا البربري النحيل
_ أدق على الطبل ليلا وراء ثلوج الزمان [24]

وكأن الخلاخيل هنا تحمل صفة العطاء و السلام وإبعاد الحزن ونحن نعرف أن الخلاخل رمز زينة المرأة العربية قديما، ورمز زينة المرأة البربرية البدوية لحد الآن، فقد استلهم الشاعر رمز تراثي وأضفى عليه طابع المعاصرة في زمن الدكتاتورية الحزبية في الجزائر، التي لطالما خاطبوا وتخاطبوا بها شعراء القطيعة وشعراء الشباب الرافض لراهن آنذاك، وثمة موضع آخر لهذه اللفظة في قصيدة:"العودة إلى تيزي راشد" حيث يقول:

_ وفي طريقي إلى تيزي راشد الزهر وأجراس الكرز

---

[20]- أزراج عمر -الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 18 .

2- أزراج عمر - الاعمال الشعرية،مصدر سابق، ص: 17.

[22]- أزراج عمر - المصدر نفسه، ص: 17.

[23]- أزراج عمر -المصدر نفسه، ص: 18.

[24]- أزراج عمر -المصدر نفسه،ص: 86 .

_ أوقفتني نسوة القرية كان النبع عنقود عسل ويمامات قبل

_ بغتة غنين لي: فلتقترب يا أيها المدمن برق الخمر ونهر الخلاخيل

_ وعشب السرة الولهى وصفصاف الجسد

_ وكواليس قصر الحكم في حزب الدولة، عد نحو البلد.[25]

والملاحظ هنا أن لفظة الخلخال مقترنة بالنبع تارة وبالنهر تارة أخرى، فلقد أبدع الشاعر هذه المرة بصورة شعرية رائعة، فنداء النسوة هو نداء المدينة التي سيغادرها فهو يعشق فيها المرح، واللهو والغناء، وجمال النسوة، وحقول البلدة، وطول الأشجار... الذي يفتن الناظر وكل عناصر الطبيعة التي يسقطها ويضفي عليها طابع الجمال الفني فمرّة نجد عناصر الطبيعة هي الوطن، ومرّة أخرى هي الأم، ثمّ المرأة البربرية، ومرة أخرى الطفولة، وهكذا ... إلى أن يحس القارئ الناقد أن الشاعر كأنه توأم الطبيعة .

فالنخلة ذكرت في موضعين متتاليين:

الموضع الأول: في قصيدة " انتظار" ديوان الجميلة تقتل الوحش.

- خناجر الأنين تذبح الأمان في العيون

- والنخلة العذراء تخلع الأغلال عن أيدينا

- والقمر القديم يعزف الأوتار[26]

الموضع الثاني: قصيدة رؤيا "ديوان الجميلة تقتل الوحش

_ كنخلة دارنا كبرت جراحاتي

_ وهذا اليوم يجرح خد راياتي

- وينسج لي عباءة حرقة تكوي شراييني.[27]

فالموضع الأول: النخلة رمز شباب أنثوي يحاول خلع غلته بعيدا عنا، كناية عن الراهن أنداك، راهن الجزائر من جهة وراهن وفاة الرئيس عبد الناصر .

لأن الشاعر بعد هذا السطر الأخير مباشرة يتحسّر على روح الرئيس الراحل .

فيقول: أيا وطني....

_ فقدت "جمال " من غنى هواك على مدى الزمن.[28]

والموضع الثاني: النخلة كبرت و كبرت معها الجراحات، وكأن هذه النخلة رمز علوٍّ شأن الشاعر فعُلُوِها من عُلوِهِ وسقوطها من سقوطه و دنوّه .

ت- **الرمز التاريخي:** اضافة لما قيل عن الرمز التاريخي سابقا فهو أيضا عملية إنزال الدلالات التاريخية على الأبعاد المعاصرة، من طرف الشاعر و أن أبرز الرموز التاريخية، تستقي من التاريخ العربي الإسلامي وهي تتنوع بين الوقائع و الأحداث وفي هذا نحاول تسليط الضوء عن أهم الرموز التاريخية التي ظهرت في شعر أزراج عمر، حيث يقول في قصيدة "رؤيا" ديوان " الجميلة تقتل الوحش ":

- أيا وطني...

- فقدت "جمال" من غنّى هواك مدى الزمن

- فيا عيني

---

[25]- أزراج عمر - الاعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 127.

[26]- أزراج عمر - المصدر نفسه، ص: 144.

[27]- أزراج عمر - المصدر نفسه، ص: 148.

[28]- أزراج عمر -المصدر نفسه،ص: 144.

- أعينيني
- أعينيني
- وسيلي أنهرا لهفانة تروي حكاية عاشق الأرض
- ومن شرب السنين يصارع الأوغاد بالرفض[29]

وظفّ الشّاعر الرمز التاريخي انطلاقا من "جمال" الرئيس المصري الراحل بإيحاءات ورموز ضاربة في عمق التاريخ في ذكره لشخصية عربية ورمز من رموز الثورة المصرية، ثورة الضباط الأحرار بمصر عام1952م أين حكم الرئيس الراحل "جمال عبد الناصر" البلاد بعد الملك فاروق، ليتحول نظام الحكم في مصر من الملكي إلى الجمهوري، فالإيحاءات هنا ترمز إلى أن الشاعر بكى "جمال" قائد الثورة الناجحة، و ومنادٍ إلى التعددية الحزبية، أين لغى الملكية الحزبية سنة 1952م، وأمم قناة السويس سنة 1956م، وتصدّى إلى العدوان الثلاثي على مصر، وبنى السد العالي، فكل هذه الأعمال توحي بمدى محبة الشاعر للرئيس "جمال" حتى رثاه و بكاه فهو عند الشاعر رمز من رموز الحرية لاسيما حينما يقول:

- إذا مات الصباح تجيئ الأصباح قافلةً
- قافلةً نهارية
- لتهدم قلعة الظلمة
- وتبني قلعة الأنوار و الصّحوة[30].

فالقصيدة كلها مهدات إلى روح الرئيس الراحل " جمال عبد الناصر " ولقد رمز الشاعر رمزا آخر كتبت سيرته و أخباره العرب و الغرب في العصر الحديث، لبطولاته وعظمة شخصيته، وحكمته النافذه، وقوّة بأسه و جأشه، لأنه قائد أكبر الثورات في ليبيا، حيث تم اعتقاله و إعدامه أمام الملاء، أنه الشهيد "عمر المختار" القائد المغوار، وفي قصيدة " أغنيات" ديوان "الجميلة تقتل الوحش" يقول الشاعر فيه:

- الموت أعدل القضاة
- الموت يا ربابتي ولادة الحياة
- ورقصة عجيبة
- تغري خصورنا فيرقص الجميع[31]
- لكن قتل عمر المختار لطخه
- على جبين الأزمنه
- كان معلّقا على الصليب كاليمامة القتيلة[32]

وفي هذا حضورا لرمز المسيح عليه السلام حين هيئ لليهود أنهم صلبوه في حين أنه عند ربه قد رفعه وكذلك نعلم أن الشهداء لا يموتون بل هم أحياء عند ربّهم يرزقون، فالشاعر شبه إعدام عمر المختار بصلب سيدنا المسيح عليه السلام.

وفي ديوان الطريق إلى أثمليكش وظف الشاعر الرمز التاريخي في قصيدتين الأولى عنوانها: "العزلة" يقول فيها:

- أنا البربريّ الأشدّ عزلة من الصحراء
- في حضرة من أهوى[33]

[29] - أزراج عمر - الأعمال الشعرية ، مصدر سابق، ص: 148-149.

[30] - أزراج عمر - الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 149.

[31] - أزراج عمر - المصدر نفسه، ص: 155.

[32] - أزراج عمر - المصدر نفسه، ص: 155.

- ومن لا أهوى هو المنفى
- أنا ابن الملوك، وبرق الزيتون
- وصيحات "الأوراس" وهو يلبس
- البرزخ قفطانا
- ها أنا أرى عقبة يبيع سيفه في الحافات
- في آخر الليل يبكي الغمد
- على النصل الذي يراق على جوانبه الفقر[34].

فالأوراس رمز من الرموز التاريخية المتعلقة بالجزائر "الوطن" و بثورة الفاتح نوفمبر سنة 1954م. فالأوراس رمز من رموز الأمة الجزائرية العربية بل محول مجرى تاريخ الجزائر أمّ البطولة، وقبلة الأحرار في عالم عانى ومازال يعاني من الظلم والإستبداد، أوراس الزمان والمكان، التجربة والمخاض، الوطن والحرية، الأرض المقدسة التي باركت الأحرار فباركوها،

هذا ولقد مثل الأوراس إلهام الشعراء الجزائريين في الحرب الثورية أو بعد الثورة في الفاتح نوفمبر1954م. حتى يومنا هذا باعتباره أول نقطة انطلاق لمسار الثورة التحريرية الكبرى باعتبار أول رصاصة انطلقت من جبال باتنة بالأوراس،هو ابن الوطن" الجزائر" النصر والكبرياء. ثم يواصل أسطره الشعرية حيث يقول:

- ها أنا أرى عقبه يبيع سيفه في الحانات
- في آخر الليل يبكي الغمد[35]
- على النصل الذي يراق على جوانبه الفقر
- فلماذا نحن ننام هكذا على الطوى[36]

فعقبة ابن نافع القهري هو رمز من رموز التاريخ العربي الإسلامي، فبعد حرب الفاتحان عبدالله بن سعد، وعبدالله بن الزبير، التي خاضاها بجيش عرمرم ضد الروم في بلاد الأمازيغ، ثم بلاد البربر، فانتصروا على الروم حتى جاء عقبة بي نافع الفهري فوطد أركان الفتح، و اصطدام بأركان القومية الوطنية الأمازيغية التي لم تكن تريد الخضوع، لأحد فوقعت معارك طويلة، استبسل فيها رواد الدين وطلائع المدينة كما استبسلوا فيها أركان الوطنية، وأنصار الاستقلال فكانت الغلبة لهم. ومن أهم أماكن المد الحربي بعد بلاد الأمازيغ بلاد الأوراس[37] وكان الفتح منذ سنة 667م، و هو تاريخ انطلقت منه أولى تغيرات تاريخ بلاد المغرب الإسلام من اتجاه العبودية إلى اتجاه الحرية الانسانية في طلائعها الحضارة الانسانية العربية[38] فالشاعر وفق في تمثيله للرمز التاريخي ألا وهو الرائد عقبة بن نافع الفهري وهو أحد رواد الفاتحين في المغرب الإسلامي، فلقد شبه وضع الوطن بالخيانة التي لم تحتسب على رائد الفاتحين "عقبة بن نافع" بل احتسبت على الخونة الذين باعوا الوطن وخانوا العهد والأمانة فبكت المدينة خيانتهم مثل بكاء السيف. سيف ابن نافع، وهو تصوير وفق فيه الشاعر أزراج إلى حد كبير.

33- أزراج عمر - مصدر نفسه، ص: 83.

34- أزراج عمر - الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 83.

35- أزراج عمر - مصدر سابق، ص: 83.

36- أزراج عمر - المصدر نفسه، ص: 83.

37- ينظر محمد توفيق المدني- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، شارع عدلي باشا، ط1، 2001م،ص: 54.

38 -ينطر محمد توفيق المدني- المرجع نفسه،ص: 54.

ث- **الرمز الديني:** لقد كان التراث الديني في كل العصور، ولدى الأمم مصدرا من مصادر الإلهام حيث يستمد منه نماذج وموضوعات وصور أدبية، ومازال القرآن الكريم المعين الثري بالدلالات الانسانية والفنية التي تظفر على الصورة الأدبية عنصر الحيوية والأصالة ليستقي منه الأدباء تجاربهم الإبداعية إضافة إلى السيرة النبوية والشخصيات الدينية الشهيرة والكتب السماوية والأنبياء عليهم السلام، فهي كلها رموز دينية تشكل ذاكرة الأمة العربية الإسلامية بما تضمره من إيحاءات دلالية وعليه فدواوين الشاعر أزراج شحيحة من الرموز الدينية، قليلة جدا في تواجدها وحضورها ومثالنا على ذلك: قصيدة أعراس وهي ثاني قصيدة شعرية في ديوان الطريق إلى أثمايكش يقول في إشارته الرمزية التي توحي بحضور الإشارة إلى رمز ديني أراده الله تعالى أن يكون عبرة لمن يعتبر على طول حياة الدنيا إلى أن يرث الله الأرض وماعليها حيث يقول بعض أسطرها:

- بالله عليك أسكن في صوتي لأجعل النهار لباسا- ومن الليل معاشا - بالله عليك ايقظ فيّ المزمار يا ذو القرنين .[39]

فقصة ذو القرنين معروفة، في القصص القرآني فقوله :لأجعل من النهار لباسا... ومن الليل معاشا هو توظيف قرآني وعليه فالشاعر في قوله: بالله عليك أيقظ فيّ المزمار يا ذو القرنين. فالمزمار رمز داوود وظفه الشاعر هنا ليوصِل إلى أذهاننا أنه يريد أن يغني كما غنى مزمار داوود، يبدأ أنه يريد التعبير عن حالته النفسية بغناء الشعر، جاء في صورة الكهف:﴿ ....وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذُو القَرْنَيْنَ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرَا۞ أن مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْئٍ سَبَبَا...﴾ ﴿الآية 83- 84 سورة الكهف﴾.وكأن الشاعر هنا يرجو من الله عز وجل أن يعطيه قوة ونفوذا كما تمتع بها النبي ذو القرنين إلى جانب ما ذكر سابقا نجده قد ذكر العديد من المواضع التي وظف فيها القرآن، بيد أننا لا يمكن أن نضعها ضمن الرموز لأنها لاترمز للشخصيات بعينها ولا ترمز لحضور رمزي ديني وانما لتوظيف شكلي يقتصر على ذكر بعض الكلمات القرآنية من بعض الآيات.

ويحضرنا في هذا الصدد ديوان " الجميلة تقتل الوحش": قصيدة "أغنيات أخرى" قوله:

- لكن قتل عمر المختار لطخة
- على جبين الأزمنة
- كان معلقا على الصليب كاليمامة القتيلة
- والدمع في عينيه يغزل الصلاة
- وفي شفاهه رأيت العنقاء
- وفي جرحه السنابل الزرقاء[40].

شبه الشاعر مقتل أو اغتيال زعيم الثورة الليبية عمر المختار قتله بقتل سيد المسيح عليه السلام عيسى الذي رفعه الله سبحانه وتعالى إلى السماء أثناء قتله من طرف المشركين الذين خيل لهم أنهم قتلوه، إذ رفعه و وضع شبيها له فخيل لهم أنهم قتلوه .

وهكذا يكون حضور الرمز جليا وواضحا على مستوى قصائد الشاعر، مما يدل على تمتعه بطاقة تعبيرية فنية تصل إلى القارئ بشكل إيحائي تلميحي يعمل فكره، ويذوب فيه وفي صوره التي من شأنها أن تنمي ملكة الدراسة وبراعة التحليل، ومن ثم ولوج عالم الرمز والغوص فيه بعد الانتصار على جميع المعضلات.

قائمة المصادر والمراجع:

1- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري- أساس البلاغة، طبعة جديدة مصححه ومنقحة، ط1. 1422ه.2001م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ص: 297.

2- ابن منظور جمال الدين- لسان العرب مادة غرب، ج1، الدار المصرية للتأليف، د ت، د ط، ص: 356 .

[39] -أزراج عمر - الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 18-19.

[40] -أزراج عمر -الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 155.

3- ينظر محمد فتوح أحمد- الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة . ط 1، 1984 م، ص: 35.
4- سعيد علوش- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص101-102
5- ينظر محمد فتوح أحمد-مرجع سابق ص: 35.
6- ابراهيم فتحي- معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، 1986، ص171.
7- رمضان الصباغ - .في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط1، 1998م، ص: 244.
8- رمضان الصباغ- المرجع نفسه، ص: 249.
9- أحمد كمال زكي- الأساطير دراسة صفارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ط2، 1979م، ص: 237.
10- ينظر عبد الحميد هيمة -البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر،مرجع سابق، ص: 82.
11- ينظر رجاء عيد-لغة الشعر، مرجع سابق، ص: 201.
12- علي عشري زايد- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية، دط، د ت، ص: 120.
13- ينظر ابرهيم روماني-الغموض في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 280.
14- السعيد بوسقطة- الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، عنابة، الجزائر، ط2، 2008م، ص: 37.
15- ينظر: توفيق بن عامر- المرجع نفسه، ص: 100.
16- على عشري زايد- استدعاء الشخصيات التراثية، مرجع سابق، ص: 75.
17- ينظر إبراهيم رماني- الغموض في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 191.
18- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 155.
19- أزراج عمر المصدر نفسه، ص: 154
20- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 18 .
21- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 17.
22- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 17.
23- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 18.
24- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 86 .
25- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 127.
26- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 144.
27- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 148.
28- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 144.
29- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 148- 149.
30- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 149.
31- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 155.
32- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 155.
33- أزراج عمر- مصدر نفسه، ص: 83.
34- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 83.
35- أزراج عمر- مصدر سابق، ص: 83.
36- أزراج عمر- المصدر نفسه، ص: 83.
37- ينطر محمد توفيق المدني- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، شارع عدلي باشا، ط1، 2001م، ص: 54.
38- ينطر محمد توفيق المدني- المرجع نفسه، ص: 54.
39- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 18- 19.
40- أزراج عمر- الأعمال الشعرية، مصدر سابق، ص: 155.